

الإثنيون 26-11-2007

## 87- عن الفطرة (3)

عن القشرة والفطرة والتعدد والواحدة!

أثارت يومية أمس تساؤلات واحتجاجات كثيرة، لغموض فكرة التعدد في واحد، وعلاقة ذلك بالقشرة والفطرة، التي ذكرناها في حالة عصام يومية 4-11-2007، ثم علاقة هذا وذاك بجركية النمو، وهذا الغموض هو بعض ما أعلنت تخوفي منه أمس.

وجدت اليوم أنه من المناسب أن أقوم بتحديث بعض أول مقال (رقم 1) في سلسلة مقالات الصحيفة السرية التي كانت بعنوان "أنا واحد ولا كثير"، وهو المقال الذي يوضح أساس هذا المفهوم (التعددية والواحدة) ثم أقوم بربط محدود لفكرة "القشرة" و"الفطرة" مع "حركية النمو" و"تعدد الذوات".

نبدأ أولاً بما انتهينا إليه في الحالتين عصام ثم علاء.

أولاً: الفرض: في حالة عصام

الفرض الذي أنهينا به عرض حالة عصام كان كالتالي:

شاب (23 سنة) نشأ في أسرة مزدحمة شكلاً، مفرغة موضوعاً، تفتقد إلى أي دفاء حقيقي يضم أفرادها إلى بعضهم البعض، لا يوجد بها تاريخ عائلي إيجابي لمرض نفسي أو عقلي خطير، الوالد حاضر حضوراً جافاً ملتويًا، يعلم الأقرب إليه من الأولاد التجسس على الباقين، "عصام" ثم لاحقاً "أخته الأصغر".

الأم ضعيفة سلبية متنجية مفهورة، جافة "متلصمة".

عصام -مثل أي واحد- له داخل طبيعي سليم هو الفطرة (كما خلقنا الله) لكن أحداً لم يتعهدها، لا الأهل ولا المجتمع، هذه الفطرة تغطت بقشرة تربية لامة، لكنها -الفطرة- ظلت تتعامل من وراء القشرة مع ما يصلها من برجة بطريقتها البسيطة الصحيحة.

القشرة تنجح وتتم صفقاتها مع الوالد والفطرة "تعرف" وتدرك، وتتعامل مع المعلومات باستيعاب سليم

### تصادم الفطرة مع القشرة في مرحلة باكرة (الابتدائية)

يظهر الصداق، ثم يختفى ربما بالبعد بينهما (بين القشرة والفطرة) مع استمرار نشاط كل منهما.

تستمر القشرة في النجاح الظاهر، والصفقات الداعمة الخبيثة (بين الابن و الأب: التمييز والتجسس) وتستمر الفطرة في النشاط والتماسك والمعرفة السليمة والادراك الداخلى.

تنجح الفطرة حتى في برجة المعلومات والإسهام في أداء الامتحانات، فيفسرها الابن حامداً فضل الله، لكن يبدو أن الداخل تجاوز هذا المستوى سراً، وفي نفس الوقت أجل إعلانه.

حادث دال خطير (صفعة مهينة من شخص عزيز أمام غرباء) يحدث بالصدفة يهز هذه التركيبة برمته،

يفسد الصفقة الخبيثة الجارية،  
فتختل صورة الأب ليظهر على حقيقته بلا رجعه  
فتفسد الصفقة،

فيحدث التباعد بين الإبن والأب (الزعل: سنة) دون ظهور الأعراض بعد،

يجتنب الابن أباه، لكن الكسرة قد حدثت في الداخل، فطالت الفطرة التي انفصلت، وارتدت، وانطلقت لحسابها البدائي مخترقه القشرة المنفصلة..

الفطرة وحدها لا يمكن أن تواصل إنجازاً واقعياً ظاهراً إلا إذا تكاملت مع أجهزة الأداء السلوكي (القشرة المتصلة).

لكن الرسالة تصل أن القوة الفطرية الداخلية قد انطلقت من بين شقوق الكسرة (المنفصلة)

تتعلمق قوة الدفع ولا تتوقف عند حد استعادة تلقائية الفطرة وأحقيتها، بل تتفاقم حتى تنقلب الفطرة إلى تسليم قدرى أعمى،

ومن ثم تفقد الذات أبعادها،

يتضاعف التمداد في الانفصال وتتجلى سلبية مطلقة لقوى لم تعد هي القوى الضامة المساعدة، ولكنها أصبحت قوى شكلية هابطة من المجهول، وإن لم تفقد في شكلها الظاهري معالم الوصلة وتظل في نفس الوقت تتعامل بنفس الألفاظ "الأذان، واللغة الدينية المسطحة"

تشوهت الفطرة على أنقاض القشرة وظهر الفصام.

ثانياً: خلاصة حالة علاء

جاءت خلاصة حالة علاء أمس هكذا:

إن ما يَجْمَعُ الكثيرين (الكثير) داخلنا هو تماسك ما هو خارجنا وانتظام إيقاعه وسلامه رسائله، "خارجنا"

هذا ما ينبغي أن يبدأ بالأسرة: بالأم والأب،  
علاء هنا لم يصله طفلاً إلا فراغ الأب، ودوران الأم حول  
نفسها لنفسها في المحل،

كيف إذن يمكن أن تتناغم مستويات وعى علاء (شخصه) على  
درب النمو.

إن ذلك النشاز من حولنا لا يسمح لأى منا أن يؤلف لحنه  
الخاص المناسب إلى اللحن الأكبر يتناغم مع الوجود البسيط  
الحقيقى.

إن التغطية الخارجية لهشاشة المتراكمة، بالضبط  
والربط والعمل والإنجاز فقط، قد تؤجل التناثر، ولكنها قد  
تخمد الحركية الداخلية حتى يتوقف النمو برغم ظاهر السلامة.

إن مثل هذا الجنون الذى يشتهر باسم "الفصام" إنما يعلن  
خيبتنا في استيعاب "الكثير فينا"،

كما أن التغطية بأثقال الكبت والدفاعات طول الوقت  
إنما تعلن خيبتنا في استيعاب الحركة داخلنا.

لا مفر من اتاحة الفرصة للحركة المتنامية بين الداخل  
والخارج طول الوقت على كل المستويات الممتدة.

#### قبل الحديث عن ماهية الفصام

ونحن على وشك تقديم نظرى عن ماهية الفصام الذى تتفكك  
فيه كل الروابط، ويتعدد التوجه، كما يتشتت أو ينعكس  
مسار النمو، وجدنا أنه من الأنسب أن نتعرف على أصل فكرة  
الوحدة والتعدد في الكيان البشرى، والتي هى تختلف عن  
الشائع عن مفهوم "الشعور والاشعور" و "الهو والأنا" ...  
إلخ.

وفيما يلى مقتطف من أول حلقة في هذه السلسلة (أنا  
واحد ولأ كثير) لشرح الفكرة:

#### الوحدة والتعدد في الكيان البشرى

.. أنا واحد؟ ولأ "كثير"؟!؟

أغلب النظريات القائمة، حتى نظرية التحليل النفسى  
الفرويدى، تتعامل مع الإنسان باعتباره وحدة متكاملة  
قائمة لها معالم وحدود، قد يكتفى اتجاه علم النفس السلوكى  
بظواهر التصرف المعلن، بل ويرفض ما دون ذلك بحسم مستول،  
وقد تمتد الرؤىة إلى اعتبار أن الظاهر ليس إلا الشعور  
(الأنا) الذى يحمل بداخله ما سمي الاشعور، بتقسيماته  
وغرائزه ومكبوت أحداثه إلخ، وأن الأخير (الاشعور) يعبر عن  
نفسه من خلال ميكانزمات تتجلى في الشعور بطريقة ملتوية.

لكن نظريات أخرى انتبهت إلى أن ما بالداخل ليس مجرد  
قوى خفية، وغرائز متحفزة، وذكريات ونوازع مكبوتة، بل هى

شخص متكاملة بديلة، وإن كانت كامنة في لحظة بذاتها، لكنها قادرة على الظهور بالتبادل، أو في الحلم، أو بطرق غير مباشرة، وإن كانت ليست بالضرورة ملتوية (ميكانيزمات) .

### توضيح من العلاج الجمعى

في العلاج الجمعى بالذات نضع هذا الاحتمال (أن كل واحد منا، بما في ذلك المعالج) هو أكثر من واحد، ومن خلال ما يسمى "الألعاب"، وأيضا المبنى دراما (السيكودراما شديدة الإيجاز) يقوم المريض (أو المعالج) بممارسة الدور المفترض لذواته المتعددة، مثلا:

حين يحكى أحدهم عن طبيبته ومثاليته ومفوق عطائه، فنفترض أن به أيضا "شخص" عكس ذلك، وأن هذا لا يعيبه، فينكر هذا الاحتمال من حيث المبدأ، فنعرض عليه - مثلما نعرض على بقية المجموعة - أن يمارس دور الأناي الحقود مثلا، فينكر أكثر، فنصر أن هذا مجرد تمثيل، وقد يقبل بتردد عادة، فنجعله يتحاور مع نفسه (الطبيب مع الحقود)، أو يقوم أحد أفراد المجموعة، أو المعالج، بدور أحد هذه الذوات، ولنفترض ان اسمه محمود، فيكون هناك محمود الطبيب ومحمود الحقود، ويدور حوار تمثيلي يؤلف فيه كل "محمود" ما يعن له من نص تلقائي، ثم نطلب من الممثلين، سواء كان المريض يحاور نفسه أو كان أحد افراد المجموعة (أو المعالج) يثل أمامه، نطلب من كل منهما أن يتبادلا الأدوار، بمعنى أن الذى كان يلعب دور الطبيب، يأخذ دور الحقود، والذى يلعب دور الحقود يأخذ دور الطبيب، ونحدث مقاومة متوقعة (عادة أقل من الأولى)، وتستمر الدراما (دقيقة أو بضع دقائق) ثم نطلب من "محمود" أن يرى نتيجتها، وعادة يعترف بصدق أنه اكتشف فعلا ذلك الشخص الآخر، وأنه في المتناول، وأنه لا يحجل منه، ولا يخاف من طغيانه... الخ يتكرر مثل ذلك - وغيره - في نفس الاتجاه، حتى تعود المجموعة عليه، مطمئنة إلى أن هذا التفكير ليس هو نهاية المطاف، وإنما هو خطوة نحو قبول بقية ما هو "نحن" فيما هو "أنا"، كخطوة نحو التكامل على مستوى أعلى دون إصرار على الاكتفاء بالظاهر الذى هو ليس إلا بعضنا.

الذى حدث في هذا المثال الذى سوف نضربه حالا أن أحد افراد المجموعة، وليكن اسمه محمود أيضا، قبل - بدرجة ما - حركية تعدد ذواته بعد مرور خمسة أشهر من بداية المجموعة (مرة كل أسبوع)، حتى تصالح مع نفسه جزئيا، وانتظم في عمله، إلخ. لكنه فجأة، حضر الجلسة الأخيرة (منذ أسبوع) وهو ينكر هذا الاحتمال (التعدد) من أصله، ينكره جملة وتفصيلا. هذه الخطوة متوقعة وتدل على مقاومة، تدل بدورها على جدية وصدق مسار العلاج (النمو النفسى)، وفيما يلي مقتطفات من نص موقف المقاومة هذا كما سجل بالصوت والصورة (بإذن المرضى وإقرارهم طبعا مع تغيير الأسماء)

### النص

الدكتور (المعالج الرئيسى: كاتب المقال) كان قد عرض على

محمود تفسيراً لبعض جوانب حالته، ومن ضمنها احتمال التعدد العشوائي (والمتنافر أحياناً)، فراح في هذا المقطع من المقابلة يذكره بذلك، وسوف يشار إليه بـ"،،،،" تجنباً لتكرار الاسم):

**الدكتور "،،،،":**

إنت عملت حاجة يا محمود تشككى في الست شهور اللى فاتت، رغم الحمد لله استمرار التحسن الظاهري، زى ما تكون لغيت حاجة حصلت، وبإصرار

**محمود**

دى أفكار غلط

**الدكتور "،،،،":**

إيه هيّه إلى غلط؟

**محمود**

أنا مش شايف غير محمود واحد، محمود إلى مش

عايز يروح الشغل، محمود المريض، محمود التعبان.

**الدكتور "،،،،":**

يا محمود أنا مش جى من بيتنا عشان أسمع لك نظرية حافظها، دا كلام حاصل قصاد عنيانا، مش فاكرك؟ كان فيه حاجات تانية أثناء التمثيل، إنت شفتها بنفسك فينا وف نفسك ، واحنا بنتخانق مع بعضينا، مع نفسنا، واحنا بنلعب الألعاب (أنظر بعد) ، حد يشوف ده كله ، وبعد خمس شهور ، يروح شاطب عليه مرة واحدة؟ وقايل أنا واحد وخلص؟

**محمود**

لأ مش عملية واحد، أنا فعلا واحد

**الدكتور "،،،،":**

طيب واللى ظهروا قبل كده في الجروب (المجموعة) ؟ سزبتهم؟

**محمود**

أنا مقتنع إن محمود ده محمود واحد

**الدكتور "،،،،":**

هوا أنا رفضته؟ بس اللى انت شفته جنب ده راح فين؟

**محمود**

دى كانت أفكار بس

**الدكتور "،،،،":**

يعنى ، ما احنا ساعات بنعامل الأفكار كإنها أشخاص، مش كده؟ .....

**محمود:**

لا ما ينفعشى

**الدكتور "،،،،":**

ما هي نفعتي، ياللا نرجع ناخذ الفكرة ونعملها شخص ونشوف: محمود إالى عايذ يروح الشغل، ومحمود اللى مش عايذ يروح الشغل، نرجع تاني للتمثيل، أنا معاك وزيك..

**محمود:**

حضرتك أستاذ الطب النفسى، وأدرى منى..

**الدكتور "،،،،":**

مش مسألة استاذ، إحنا بنلعب، واللى يسرى عليك يسرى على، لو قلت لى طلع يجيى اللى عايذ يروح الجروب ويجيى إالى مش عاوز يجيى الجروب، وبيقول ما فيش فائدة، حاحاول مجد..

**محمود:**

يعنى أنا كام محمود؟ عشرين محمود يعنى ؟

**الدكتور "،،،،":**

نبدى بتلاتة يا شيخ، باسمالله

**محمود:**

لا ألفين أحسن

**الدكتور "،،،،":**

يا راجل بلاش هرب، ماتصعبهاش وتتريق، النظريات بتقول تلاتة أربعة، إنما إحنا شفنا كثير من واقع إالى إحنا عشناه سوا

**محمود:**

خليهم خمسة

**الدكتور "،،،،":**

يا صلاة النبى، إيه الكرم ده؟ طب يالله عدهم

**محمود:**

فيه محمود إالى عايذ يبقى كويس، ومحمود العيان نفسيا، والوسخ، والسليم، والكانن.

**الدكتور "،،،،":**

كتر خيرك، إوعى تخاف أو ترجع، طيب إيه رأيك نشوف بقية زملاءنا فى المجموعة بتشوف الخمسة دول، ولا أكثر؟ ولا أقل؟ كل واحد يقول هو بيستقبل مين فى محمود؟ أهو محمود؟

(يعرض على أفراد المجموعة أن يقول كل واحد أنا شايف محمود الـ"كذا".

آنسة (م) 24 سنة : مش فاكرا

سيده (ص) 45 سنة : محمود الضعيف

شاب (ح) 25 سنة : محمود الطيب

شاب (ن) 28 سنة : محمود إالى بيأسل على طول

شاب (ع) 22 سنة : محمود اللى مش منتظم فى الجروب

رجل (س) 36 سنة : محمود المغرور

حمود (مقاطعا) ممكن أقول للأنسة (م) (الأولى 24) تقول  
إيه ما دام هيه "مش فاكرة".

**الدكتور ",,,":**  
طبعاً ممكن

**حمود**

حمود إالى ما عندوش إقبال على الحياة

**الدكتور ",,,":**

شفت ابتديت بجمسة، وزودت السادس على لسان زميلتك، بقوا  
كلهم حداشر، وكنت ناكر ده كله، كنت حاتوديهم فين؟

**حمود**

كفاية كده يا دكتور؟

**الدكتور ",,,":**

ليه بقى؟ المهم الحكاية طلعت أفكار وصفات، ولأ بنى آدمين  
همه انت؟

**حمود**

هم قالوا حمودات

**الدكتور ",,,":**

مش مهم هم قالوا إيه، إيه اللى وصلك إنت؟

**حمود**

أنا عايز أبقى حمود واحد

**الدكتور ",,,":**

طبعاً، حد قال حاجة، إالى عايزه شيء، واللى موجود  
شيء، عندك حق، ما انا برضه عايز أبقى يجيى واحد فى لحظة  
معينة، إمال حاعاللك إزاي، أو حانتفاهم إزاي؟

**حمود:**

أصل يا دكتور..، أنا حافضل كده

**الدكتور ",,,":**

ماشى بس نقبل الموجود، ونشوف حانتصرف إزاي. فى لحظة  
معينة لازم تبقى واحد، وأنا أبقى واحد، لكن حقيقة الأمر  
كل واحد منا الظاهر إنه كثير، يبقى علينا نتحمل  
مسئوليته ده، مش كده ولا إيه؟

**عبد الغنى (مريض 24 سنة)**

على فكرة، أنا برضه بيحصل لى نفس الموضوع، فى لحظة أبقى  
كويس وفى لحظة أتغير

**الدكتور ",,,":**

إنت يا عبد الغنى بتتكلم عن صفات، عن تغير فى الشكل،  
فى التصرف، فى الشعور، إحنا دلوقت عايشين "أشخاص" كثير،  
أشخاص بحق وحقيق

عبد الغنى

يمكن، مش عارف، يجوز

الدكتور "،،،،":

جرب كده يمكن يطلعوا أكثر من عبد الغنى

عبد الغنى

ممكن

الدكتور "،،،،"

بس من حقل زى محمود وزى تبقى عبد الغنى واحد فى لحظة  
بذاتها حسب الظروف، معاك حق، وإلا حانعيش ازاي لو  
متفركشين كده على طول؟

الملاحظات

والآن دعونا نلاحظ معا ما يلى

1- إنه فى خلال أقل من نصف ساعة، استطاع التفاعل فى  
المجموعة أن يتحسس الطريق إلى كشف احتمال التعدد من  
واقع المعيشة، وليس من باب التنظير والتلقين، إن  
المسألة ليست إجماع كما تبدو لأول وهلة، فلو لم تكن  
المجموعة العلاجية قد حركت هذه الشخص داخل أفرادها،  
لبدت الصعوبة أكبر بكثير لمقاومة قبول هذا الوعى  
والتحريك.

2- إن إنكار محمود الفجائى لهذه الفكرة بعدما حدث خلال  
أكثر من خمس شهور، هو فى حقيقة الأمر بمثابة إعلان أنها  
وصلته، ليست كفكرة تقبل أو ترفض، وإنما كمعاشية حركة  
كيانات حقيقية (بيولوجية حسب فكر الكاتب)، أراد بهذا  
الإنكار أن يلغيها (أو يتنكر لها) مقاوماً لجديّة حضورها.

3- إن هذه المقاومة لم تكن بالقوة التى تمنع ظهور حقيقة  
ما وراءها، بل لقد بدا من الحوار والتفاعل أنها كانت  
السيبيل إلى كشف التغير الحقيقى الذى كان، والذى ثبت من  
التفاعل معه أنه ليس مرفوضاً تماماً من محمود، ولا هو  
مرعب يستأهل كل هذه المقاومة، وكأن المقاومة خطوة نحو  
مزيد من دعم هذه الحقيقة الجديدة معيشة، فقبولاً،  
فتمثللاً، ما أمكن ذلك.

4- إن قبول التعدد ليس استبطاناً ذاتياً يقوم به الشخص  
نفسه بالنظر فى نفسه، بغض النظر عما يراه الآخرون، بل  
إن استقبال باقى المجموعة لفكرة التعدد كان مفيداً فى  
دعم التحريك فالقبول، ليس فقط لحالة محمود لكن للباقيين  
كذلك، فالتعدد موجود حتى لو أنكره صاحبه، جزئياً، أو  
مرحلياً، أو تماماً.

5- إن مثل هذا التفكيك ليس هدفاً فى ذاته، ولا ينبغى أن  
يكون كذلك، فالموقف العلاجى يختلف عن المواقف فى الحياة  
العامّة. ما لم يكن التفكيك خطوة مسئولة نحو التكامل،  
فالمسألة تبدو لعبة خطيرة (مع أنها تحدث فى الحلم بنفس  
الصورة)



6- إن التوجه نحو الواحدية (عايز أبقى واحد) هو توجه مشروع وضروري، لكنه لا ينبغي أن تخلط بين "التوجه نحو" الواحدية، و"الثبات عند" الواحد الساكن

وبعد

هذا الاحتمال الذي عرض في المجموعة العلاجية، ورغم ظاهر بساطته، هو احتمال مخاطرة معرفية هامة.

يبدو أن قبول هذه الحقيقة -مرفوضه ابتداءً، إذ كيف يمكن أن يتقبل أى واحد منا أن يرى نفسه بهذه الكثرة إلا كنكتة عابرة أو مجازاً؟

لقد اعتدنا أن نتكلم عن صفات مختلفة للشخص الواحد، أو عن مزاج فلان المتقلب، أو عن أحوال فلانة المتناقضة، لكننا لا نتصور أن تكون المسألة قاعدة لنا كلنا، ويا ليتها قاعدة لقبول تغير الأحوال، أو تغير المزاج وإنما هى قاعدة لقبول تعدد وجودنا الخلاق في حركية ذواتنا المتعددة.

إن سوء فهم هذا الاحتمال (التعدد) على المستوى العام وصل إلى درجة أن كثيراً من الناس تصف أى تغير، حتى في المزاج بأنه، "ازدواج في الشخصية"، ويصل الأمر أن يصف هذا السلوك آخرون بأنه "فصام"، بل قد يصل الحال إلى ما نقرأه أو نسمعه من بعض المعلقين السياسيين (أو الأطباء) حين يصفون زعيماً متضارباً في آرائه بأن عنده شيزوفرينيا، أو حتى وهم يصفون شعباً بأكمله (الشعب المصرى مثلاً) بأنه مصاب أيضاً بالفصام.

مؤخراً أدى مثل هذا الخلط بين قلب المزاج، أو تغير الطباع (بما في ذلك منظومة القيم) في مراحل مختلفة من العمر وبين الفصام، إلى وصم الملك فاروق بالفصام من مؤرخين على أعلى درجة من العلم، نقرأ في عدد "وجهات نظر" الأخير (نوفمبر 2007) ما جاء باخرف الواحد عن أستاذنا الكريم أ.د. يونان لبيب رزق تقدماً للدراسة التي قامت بها الأستاذة الدكتورة لطيفة محمد سالم عن الملك فاروق ما يلي:

"إن ما توصلت إليه الدراسة التي بين أيدينا من وصم الملك المخلوع "بانقسام الشخصية" كان صحيحاً، لأنه الأمر الذي شهد عليه كثيرون من أكثر المقربين للملك المخلوع، وهى الشهادة التي أدلى بها المرحوم حسن باشا يوسف وكيل الديوان الملكي خلال الفترة بين عامي (1942 و1952) لكاتب هذه السطور شخصياً!!

ومن سوء حظ الملك المخلوع أن شخصيته السيكوباتية قد غلبت عليه خلال النصف الثاني من عهده، مما تشكلت معه اللقطة الأخيرة من صورته، وكانت سلبية بكل المقاييس."

مثل هذا وغيره، هو ما دعاني لأن أقدم ابتداءً وبهذا الوضوح فكرة "الوحدة والتعدد في الكيان البشرى" قبل تقديم التنظير عن ماهية الفصام.

## الخوف من الفكرة ومقاومتها

من حيث المبدأ أغلبنا لا يقبل فكرة تعدد الذوات إلا كظاهرة مرضية تستأهل الشجب أو السخرية أو الخذر. إن ما ندعو له هنا حتى نفهم مفهوم التعدد بشقيه المرضى والنمائي، هو أن نضع هذا الاحتمال الجديد (الذي هو أقدم كل الاحتمالات) احتمال "تعدد الذوات في الكيان الواحد" على أنه أمر طبيعي من حيث المبدأ، أما كيفية تجلي هذه الذوات في الحياة العادية (في التعامل، والحلم والإبداع والأساطير) فهو أمر يحتاج إلى تناول الشروط التي تجعل قبول هذه الفكرة وتطبيقها مأموناً.

## تمهيد للحديث عن الفصام

والآن، وتمهيداً للحديث عن الفصام بوجه خاص، دعونا نتساءل:

- 1) ما هي علاقة التعدد بالشعور واللاشعور، ومقولات فرويد عن "تشریح الشخصية" ؟
- 2) كيف يتداخل التعدد مع حركية النمو ؟
- 3) ما علاقة التعدد بمفهوم القشرة في مقابل الفطرة ؟
- 4) وهل يمكن أن نقرأ حالة عصام بلغة حالة علاء، وحالة علاء بلغة حالة عصام ؟
- 5) وأين الفصام في كل هذا؟

لا يمكن الرد على أي من ذلك حالاً، فهي قضيتنا الممتدة طول الوقت، وربما مدى الحياة)، فنكتفي الآن بأن نقول:

• الفطرة -كما سبق أن ذكرنا- ليست كياناً، أو صفة (أو مكاناً)، ونستطيع أن نحددنا الآن في ألفاظ أدق قائلين: الفطرة هي تفعيل قوانين حركية الوجود،

• وبالتالي تصبح القشرة الساكنة الجائئة المنفصلة المستبعدة لهذا القانون والممانعة للحركة، هي الغطاء الخارجي للذات

• إلا أن نفس هذه القشرة إذا كانت مرنة ومسامية ومتغيرة فإنها تصبح جزءاً لا يتجزأ من الفطرة، بل ومكملة لها (فهى أحد أوجه نفس القانون تكمل حركيته وتدعم نظامه).

فأين تقع الذوات المتعددة من هذا وذاك؟

- حركية الوجود: (قانون الحياة)، لا تتم في فراغ
- هي تجرى بإيقاع تناوبى تكاملى جدلى ينظم ويوجه منظومات الوجود البشرى المتعددة (في واحد)
- ممتداً إلى منظومات الوجود الكونى المتصاعدة.
- وبالتالي يصبح تعدد الذوات ليس مجرد حضور متبادل، أو

متناوب، أو متنافس، أو متصارع، أو حتى متعاون، وإنما هو وحدات عمالة الحركية الإيقاعية المتمادية لغايتها بإيقاعها الحيوى طول الوقت.

▪ إذا ما طغى الكيان الظاهر (في اليقظة عادة، فهو لا يستطيع أن يظل طاغيا أثناء النوم) على كل تعدد مستويات الوجود، كبتاً، أو محواً، أو إزاحة، أو كل ذلك وغيره، فهو هو القشرة بشكل أو بآخر.

▪ يتم التناوب بين الكيانات فسيولوجيا (في النوم والحلم) وهو أمر من المستحيل إيقافه، ومع ذلك فنتائجها، لو لم تستوعب الجدل النمائي، ليست عادة إيجابية.

▪ إن الوعى النسبي بتفعيل قوانين حركية الوجود بقانونها الحيوى والاستعداد لتلقيها، فالإسهام في حفزها إلى ما تعد به، هو الإبداع في مختلف تجلياته، بما في ذلك إبداع الذات على مسار النمو.

▪ إن انفصال القشرة بعيدا عن حركية قوانين الوجود لدرجة إخفاؤها، ومحو آثارها (حتى الفسيولوجية) أولا بأول هو الذى يجعل القشرة تبدو نقبض الفطرة وكأنها حلت محلها تماما.

▪ إن شرح القشرة المنفصلة، أو تشققها أو انهيارها، هو الذى يطلق الذوات المتعددة بشكل عشوائى، مع غلبة التوجه الناكس، ومن ثمّ الفصام .  
المنطلقات الأساسية لفهم الفصام :

فيما يلي نقدم بعض الافتراضات الأساسية التى تمهد لما سيأتى حين نتناول الفصام:

**أولاً:** الإقرار بالقانون الأسمى للوجود البشرى تاريخيا وحاضرا بكل مفرداته القادرة على النمو والتطور بقوانينها الطبيعية.

**ثانياً:** الإقرار بأن هذه المفردات هي "ذوات متعددة"، مرتبة هيراركيا (وعرضيا)، وأن الذى يمنعها من التصادم الحاد حتى الإعاقة، أو التشتت حتى الشلل، هو تفعيل قوانين حركية النمو (الفطرة) .

**ثالثاً:** إن حركية تنظيم، وإعادة تنظيم الذات، إيقاعا وتبادلا وتشكيلا وجدلا، هي القدرة على استيعاب هذا التعدد في واحدية قادرة في لحظة بذاتها على تسيير الحياة والاستجابة للمتطلبات الموقفية الممتدة إلى غاياتها.

**رابعاً:** إن الفصام هو فشل كل ، أو أغلب، ذلك .

**خامساً:** إن الأمراض الأخرى هي مراحل متوسطة - مرضية - للحيلولة المؤقتة أو الدائمة دون ذلك

.....

وإلى أن يجين شرح ذلك، نأمل أن نتحمل المغامرة بالوعي -  
نسبياً وتدرجياً- بما هو نحن:

فروضاً محتملة.

- برجاء الرجوع إلى حالة عصام أولاً لمن لم يقرأها أو  
نسيها، مع أن المقال يمكن أن يقرأ مستقلاً

- أيضاً ننصح بقراءة حالة علاء أولاً:

- فاروق من الميلاد إلى الرحيل، د.لطيفة محمد سالم، دار  
الشروق 2005، 850 صفحة.

- فاروق الأول وعرش مصر: بزوغ واعد .. وأفول حزين  
(1920 - 1965)، دار الشروق، 2007، 260 صفحة